لمحات من حياة نجيب محفوظ من أصدائه ومؤلفاته

Overviews of Najeeb Mahfoodh's Life through his Resonance and Writings

م.د بشار لطيف جواد[1] Lect. Bashar Lateef Jawad

الملخص

لم يعمد الكاتب نجيب محفوظ لكتابة سيرته الذاتية وإنما اكتفى بالمقابلات التي أجراها معه رجاء النقاش، لذا عمد لكتابة صورة هلامية لسيرته في أصداء السيرة الذاتية، وهو متكون من مجموعة من القصص القصيرة المعنونة الموجزة بدلالات مكثفة يغلب على بعضها سمة الرمزية فمثّلت لُخلاصة التجربة الأدبية للروائي، فاقتنص بعض اللمحات التي تخص طفولته، وشبابه وعائلته وحبه الضائع وصولاً إلى مرحلة فلسفية خالصة عند ظهور شخصية عبد ربة التائه في الثلث الأخير من الكتاب فيصل الحديث إلى أعلى درجات الرمزية حتى تصل الى الغموض والتي تغلُب عليها سمة الحزن.

وهذا ما سنحاول دراسته في مبحثين هما: أصداء من حياته، واصداء من فكره وفلسفته.

الكلمات المفتاحية: نجيب محفوظ، مؤلفات نجيب محفوظ، فكره، فلسفته.

Abstract

The writer Naguib Mahfouz did not write his autobiography, but was satisfied with the interviews he conducted with him, please discuss, so he wrote a gelatinous picture of his biography in the echoes of the biography. So he captured some glimpses of his childhood, youth, family, and lost love, reaching a purely philosophical stage when the character of Abd Rabbeh, the wanderer, appeared in the last third of the book. This is what we will try to study in two sections: echoes of his life, and echoes of his thought and philosophy.

١- كلية الاداب/جامعة اهل البيت-عليهم السلام-.

توطئة

لم يعمد الكاتب نجيب محفوظ لكتابة سيرته الذاتية وإنما اكتفى بالمقابلات التي أجراها معه رجاء النقاش، لذا عمد لكتابة صورة هلامية لسيرته في أصداء السيرة الذاتية، وهو متكون من مجموعة من القصص القصيرة المعنونة الموجزة بدلالات مكثفة يغلب على بعضها سمة الرمزية فمثّلت خُلاصة التجربة الأدبية للروائي، فاقتنص بعض اللمحات التي تخص طفولته، وشبابه وعائلته وحبه الضائع وصولاً إلى مرحلة فلسفية خالصة عند ظهور شخصية عبد ربة التائه في الثلث الأخير من الكتاب فيصل الحديث إلى أعلى درجات الرمزية حتى تصل الى الغموض والتي تغلُب عليها سمة الحزن. وهذا ما سنحاول دراسته في مبحثين هما: أصداء من حياته،واصداء من فكره وفلسفته.

المبحث الأول: أصداء من حياته

تناول الأديب نجيب محفوظ في كتابه،أصداء السيرة الذاتية بعضاً من الأحداث التي عاشها في حياته موزعة بين طفولته وشبابه وشيخوخته متناولاً فيه أهله وأصحابه، وكان يعمد إلى ذكر المواقف التي أثرت في نفسه وظهرت لاحقاً في أعماله الأدبية، ومن الملاحظ، أنه ذكر بعض المواقف التي حصلت معه في الأصداء و لم يذكرها في حواراته مع رجاء النقاش، وذلك لأن بعضها كان موقفاً عابراً لا يستحق أن يُذكر في الحوارات إلا إنّه أثّر بشكلٍ من الاشكال في ذات نجيب محفوظ، لذلك علِق في ذهنه كقوله في مقطوعة (أم البيه):[٢] (عُرفت في بيتنا بأم البيه – حتى اليوم لم أعرف اسمها الحقيقي فهي عمتي أم البيه تجلس في غرفتها، كلما طمعت في مصروف إضافي تسللت الى مجلسها، وعلى فترات متباعدة تقف سيارة أمام بيتنا الصغير فيغادرها البيه، قصيراً وقوراً زيارة تفتح في البيت روحاً من السرور والزهو، رجل آخر يتردد على أم البيه كل يوم جمعة صورة طبق الأصل من البيه غيرأنه يرتدي عادةً جلباباً ومركوباً وطاقية تلوح في وجهه امارات المسكنة،حيرني أمره، وحذرتني أمي من اللعب في الحجرة في أثناء جلوسه وهمست بأذني– انه ابن عمتك،تساءلت في ذهول:أخو البيه؟..). الشيء الذي لفت انتباه نجيب محفوظ لهذه الشخصية حتى ذكرها هنا هي جزئية التناقض بين الابن الأول المتمكن مع الأبن الثاني الفقير ومدى اهتمام الاخرين بهما، لذا أكد على شكل الابنين ومدى قيافة الأول قياساً بالثاني ومنظره الرث، فجزئية التناقض في القصة جعلت نجيب محفوظ يُدرك مدى التناقض بين الناس حتى وإن كانوا اخوة أشقاء. فهو في الاصداء لا يريد أن يذكر كل ماحصل في حياته، بل أراد أن يوثق ما أثر في نفسه وظهر صداه في أفكاره ومواقفه حتى وان كان موقفاً عابراً. وسنحاول في هذا المبحث تناول دراسة المواقف التي ذكرها في (الأصداء)، وكان لها حضورٌ في الحوارات التي أجراها معه رجاء النقاش وبهذا تكون هذه المواقف تعبيراًعن حقيقة حصلت في حياته كما في قوله:[٣] (دعوت للثورة، انا دون السابعة ذهبت ذات صباح الى مدرستي، سرت كمن يُساق الى سجن،وفي عيني كآبة، وفي قلبي حنين للفوضى والهواء البارد يلسع ساقي شبه العاريتين، وجدنا المدرسة مغلقة والفراش يقول بصوت جهير، بسبب المظاهرات لا دراسة اليوم ايضاً،غمرتني موجة من الفرح طارت

٢– اصداء السيرة الذاتية:٨.
٣– م.ن ٤.

بي الى شاطىء السعادة ومن صميم قلبي دعوت الله أن تدوم الثورة الى الابد..). فالنص وإن تضمّن قضايا فردية خاصة إلا أن وجهة النظر والرؤية التي قدمها الكاتب هي الوسيلة المهمة للتعبيرعن واقع المجتمع الذي أراد تقديمه، وبشكل متوافق مع رؤيته وما في نفسه من أحداث ماضية[٤].

كما وذكر موقفاً له مع الثورة في سن السابعة في بعض ما ورد له من حوارات، إذ كان ينظرالى المتظاهرين من شباك بيتهم ورأى كيف اشتبك هؤلاء مع العساكر فتسبب هذا الموقف له باعتداء والده عليه بالضرب،لأن العساكركانوا يوجهون السلاح على كل نافذة مفتوحة[٥]. لعلَّ فرحته في تعطيل المدارس كان حافزاً للأديب ليتعرف بأهميتها وتأثيرها على الحياة ممّا اودى به ليكون من أنصارها فهو وفدي الهوى والأنتماء، إذ آمن بهم وبما قالوا خاصة في بدايته، وفي مقطوعته الموسومة بـ(ديّن قديم) نلمس بناء رؤية مثالية جديدة تخلط بين منابع الدين الاسلامي والعلم،كمحطة تحوّل بين مرحلته الواقعية والفلسفية (إجتماعية ووجودية)بقوله:[٦] (في صباي مرضت مرضاً لازمني بضعة اشهر تغيّر الجو من حولي بصورةٍ مذهلة، ولّت دنيا الارهاب ونلتقي احضان الرعاية والحنان، امي لا تفارقني وابي يمر عليَّ في الذهاب والاياب وأخوتي يقبلون بالهدايا، لازجر ولا تعبير بالسقوط في الامتحانات، ولما تماثلت للشفاء خفتُ أشد الخوف الرجوع الى الجحيم عند ذاك خلق بين جوانحي شخص جديد صممت على الاحتفاظ بجو الحنان والكرامة، إذا كان الاجتهاد مفتاح السعادة فلأجتهد مهما كلفني ذلك من عناء، وجعلت أثب من نجاح الى نجاح،وأصبح الجميع أصدقائي وأحبائي، هيهات أن يفوز مرض بجميل الذكر مثل مرضي..). إن عمق التجربة مع المرض قد دفع به لأن يكتب مقطوعة عنه في الأصداء إلا أنه لم يذكره في الحوارات بحسب ما ورد عنه. ان أول مرض أصابه هو حساسية العين وهو في مرحلة دراسته الجامعية، ولم يذكر شيئاً عن إصابته بمرض الصرع وهو في سن العاشرة من عمره، ولا يُمكننا أن ننكر إمكانية أن يكون لتلك الحالة الباكرة نتائج بعيدة المدى،فالامر لم يقتصر على المظهر المرضي الذي اتسم به الأديب وإنما تجاوز ذلك المظهر إلى أعماق الفنان التي تأثرت بأحداث الطفولة[٧]لاسيما وقد ظهرت بوضوح في هذه المقطوعة،إذ انه أشار الى الدافع الايجابي الذي نشأ في نفسه نتيجة تلك الحالة، بأن يُحول هذا الضعف إلى قوة، خاصة وقد أخره هذا المرض عن الدراسة سنة كاملة[٨] فكانت حافزاً له في التميز في دراسته في جميع مراحلها، ويبدو أن ما يُثار حول هذا المرض مرتبط بالجانب النفسي، إذ أن صاحبه يشعربرفضٍ لواقعه فلا يستطيع التعايش معه، وقد كان سبب ذلك عزوفه عن ذكر المرض في حواراته.

مع رجاء النقاش.

وأول معرفته للموت ذكرها في مقطوعته (رثاء)والتي قال فيها:[٩] (كانت أول زيارة للموت عندنا لدى وفاة جدتي كان الموت ما زال جديداً لا عهد لي به عابراً في الطريق،وكنت بالمآثور من الكلام انه حتم لا

٤- ينظر:بناء الرواية(دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، د.سيزا قاسم:١٩٨

٥- ينظر:صفحات من مذكرات نجيب محفوظ:٢١

٦- اصداء السيرة الذاتية:٦-٧.

٧- ينظر: المنتمي:٣٦-٣٧.

٨- ينظر:م.ن:٣٧.

٩- اصداء السيرة الذاتية:٥.

مفرمنه،أما عن شعوري الحقيقي فكان يراه بعيداً بُعد السماء عن الارض...). يبدو أن صدى هذه الحادثة كان لها كبير الاثر في نفس محفوظ، إلا أنه لم يورد ذكرها في حواراته إذ كان أول ذكره للموت فيها كان في سياق حديثه عن والده الذي حصل سنة(١٩٨١)[١٠]، ولم تكن شخصية جدته الشخصية الوحيدة التي لم يذكرها في حواراته اذ نجد شخصية(عمته ام البيه) التي سبق ذكرها–ايضاً لم تُذكر..وهنا يتوارد الى أذهاننا احتمالان هما: إما إن هاتين الشخصيتين من نسج خياله كأبطال رواياته وقصصه، أو هما حقيقيتان ولم يذكرهما، لانه تعمد أن لا يصف بعض التفاصيل التي حدثت في حياته كوصفه لأخوته إذ لم يذكرهم الا ببضعة أسطر على ما لهم من مقربةٍ منه. ومن الاحداث المهمة التي حدثت له في طفولته والتي أثرت في نفسه،انتقالهم من حي الحسين إلى العباسية،ذلك الحي الذي ولد فيه وكان يحمل له مشاعر حب جم فقال في مقطوعته (السعادة):[١١] (رجعتُ إلى الشارع القديم بعد إنقطاع طويل لتشييع جنازه،لم يبّن من صورته الذهبية أي اثرٍيُذكر،على جانبيه قامت عمارات شاهقة في موضع القبلات، واكتظ بالسيارات والغبار وأمواج البشر المتلاطمة،تذكرت بكل إكبار طلعته البهية وروائح الياسمين...). ذلك الموضع الذي عاش فيه أيام طفولته أحبه كثيراً وكان كلما مرّ به يشعر بنشوة غريبة، اشبه بنشوة العشاق، وبحنين اليه يصل لدرجة الألم، وهو لم يفارقه ابداً، اذ كانت والدته تذهب إلى هناك كل يوم لزيارة الحسين وتصطحبه معها.[١٢] ولوتركنا طفولته، وتقدمنا قليلاً الى مراهقته يُطالعنا صدىً كبيراً لحبه الأول الذي ضاع ولم يتمكن من الحصول عليه، إذ أحب فتاة كان يراها قرب ملعب كرة قدم في العباسية الذي كان يذهب اليه بشكلٍ يومي، وكانت تلك الفتاة تطل عليهم من نافذة تقابل ذلك الملعب بوجه ملائكي، ومظهر أوربي، فأحبها كثيراً مع انه لم يتحدث معها ولم يتعرف اليها عن قرب حتى تزوجت[١٣]وكان لهذه الحادثة أثرعمبق في نفس محفوظ، فلو تتبعنا أثرها في الأصداء، نجدها قد تمظهرت في مواضع متعددة منها قوله:[١٤] (ثقل قلبي بعد أن أعرض عن الزمن،وراح الطبيب يبحث عن سرعلته في صورته التي طبعتها الاشعة تأملته بفضول حتى خيّل الي انه يراني كما أراه وأّنا نتبادل النظر، وجالت ايضاً نظرة عتاب في عينيه فقلت له كالمعتذر:

طالما حمّلتك مالا يطاق من تباريح الهوى فاذا به يقول: والله ما اسقمني الا الشفاء..).

فقلبه قد تحمّل كثيراً من عناء الحب قديماً، وما يعانيه الأن هو فراغه من الحبيب وهذا ما اسقمه وتسبب في مرضه، فتلك الحبيبة لم يأخذ مكانها أحد في قلبه حتى ان زوجته عطية الله لم يتزوجها عن حب، اذ وجد فيها الزوجة التي تريحه كأديب[١٥]، فحبه الوحيد كان لتلك الفتاة، وكان كلما مر بذكرها بانت الحسرة في كلامه[١٦] فأخذ يرسم لتلك الذكرى صور رمزية في (الأصداء) منها ما قاله في مقطوعة(اللؤلؤة):[٣]

١٠– ينظر:صفحات من مذكرات نجيب محفوظ:٢١.
١١– اصداء السيرة الذاتية:١٢.
١٢– ينظر: صفحات من مذكرات نجيب محفوظ:١٥–١٦.
١٣– ينظر:م.ن:١١٣.
١٤– صفحات من مذكرات نجيب محفوظ:١١٧.
١٥– ينظر:م.ن:١١٤.
١٦– اصداء السيرة الذاتية:٥٧–٥٨.

(جاءني شخص في المنام ومد لي يده بعلبة من العاج قائلاً، تقبل الهدية ولما صحوت وجدت العلبة على الوسادة فتحتها ذاهلاً، فوجدت لؤلؤة في حجم البندقة، بين الحين والحين اعرضها على صديق أو خبير وأسأله: – ما رأيك في هذه اللؤلؤة الفريدة؟ فيهز الرجل رأسه ويقول ضاحكاً:

– أي لؤلؤة...العلبة فارغة..

وأتعجب من إنكار الواقع الماثل لعيني

ولم اجد حتى الساعة من يصدقني

ولكن اليأس لم يعرف سبيله إلى قلبي..).

فهذا الحلم، هو وقت رؤيتها الذي كان كالحلم، وهذه اللؤلؤة الفريدة التي لم يتمكن أحد من مشاهدتها هي ذكراها في قلبه التي لم يشعر بها أحد الا هو.

اما فيما يخص مجموعة الأصدقاء الذين جمعته معهم علاقات وطيدة اذ كان ينتمي لمجموعة من الشلل منها شلة العباسية، وشلة الحرافيش، وشلة العوامة[١٧] كان لهم صدى واسع في الأصداء، إذ كان يذكر جمعتهم وكيف كانت تغمرهم السعادة ومن ذلك ما جاء في مقطوعة(الصور المتحركة) عندما قال:[١٨]

(هذه الصور القديمة جامعة لافراد اسرتي وهذه جامعة لاصدقاء العهد القديم نظرت اليهما طويلاً حتى غرقت في الذكريات جميع الوجوه مشرقة ومطمئنة وتنطق بالحياة، وها هم قد رحلوا جميعاً فلم يبق منهم احد..).

إن السمة الغالبة على هذا الجانب من (الأصداء) أن محفوظ كان يذكر هؤلاء الاصدقاء دون أن يذكر الاسماء بنبرة ملؤها الحزن نتيجة خسارتهم واحد تلو الآخر كما في قوله:[١٩]

(وقفت فوق فوهة القبر القي نظرة الوداع على جثة العزيز التي يعدونها للرقاد الأخير، ترامت إلي ضحكته المجلجلة قادمة من الماضي الجميل، فجلت بنظري فيما حولي، ولكني لم أجد الا وجوه المشيعين المتجهمة..).

وكان كثيراً ما يذكر المقهى الذي يجتمعون فيه،ومن واجب الصداقة ورد الجميل قال مقطوعته(المصادفة):[٢٠]

(تحت التمثال تقابلنا مصادفة توقفت عن السير، إنه يبتسم، وأنا ارتبك صافحته بالإجلال الذي يستحقه فسألني كيف الحال فأجبت بأدب وحياء–الحمد لله فضلك لا يُنسى، فقال بصوتٍ لم يخل من عتاب رقيق–حسن أن تعتمد على نفسك ولكن خيُل إلي إنك أتيتني فقلتُ بحياء–لا أحب أن أُثقل عليك ولكن لا غنى عنك بحالٍ، وافترقنا وقد اثار شجوني، تذكرت عهدي الطويل به،كما تذكرت اطواره الاخرى مثل إعراضه وجفائه دون تفسير يطمئن اليه القلب..).

يبدو انه كان يحمل احتراماً وعرفاناً بالجميل لذلك الصديق،وهذا ما قاله عن سيد قطب الذي هو أول ناقد التفت إلى أعمال محفوظ وكتب عنها وكان ذلك في اربعينيات القرن الماضي، اذ قام محفوظ بزيارته في

١٧– صفحات من مذكرات نجيب محفوظ:١٠٥–١٠٨.
١٨– اصداء السيرة الذاتية:١٧.
١٩– اصداء السيرة الذاتية:٨٩.
٢٠– م.ن::٥٩.

بيته بعد رجوعه من بعثته وتحدّث عن التطرف الفكري الذي ألمّ بذلك الناقد بعد تلك البعثة، بعد أن كان من رواد الاستنارة والفكر الجريء المتحرر[٢١]، وهذا ما جعل محفوظ لا يطمئن في النص.

ومن مزايا شخصية محفوظ حبه للموسيقى وارتباطه الكبير بها منذ طفولته، إذ كان والده يصطحبه معه لروض الفرج لسماع المغنيين والمنشدين كما كانت تُقام في بيوتهم حفلات العوالم للسيدات، والغناء للرجال[٢٢]، لذا كان لهذه السمة صدى واسع في الأصداء ومنها قوله:[٢٣]

(اليك هذا اللحن، إحفظه مني جيداً، وترنّم به عند الحاجة، وستجد فيه الشفاء من كل هم وغم..)

فاللحن عنده فيه شفاء من كل هموم الدنيا، وهذا ماتحدّث عنه في الحوارات في مواضع كثيرة منها،اذ كان يشعر بالراحة النفسية عندما يستمع إلى أم كلثوم وعبد الوهاب، وعبد الحليم، وعدوية[٢٤].

نخلص من ذلك أن محفوظ لم يذكر كل تفاصيل حياته في الأصداء، إنما استوقفته المواقف المؤثرة التي كان لها عميق الأثر في روحه حتى وان كانت مواقف عابرة.

المبحث الثاني: أصداء من حياته وأعماله

يُمكننا أن نعد كتاب أصداء السيرة الذاتية،حلقة وصل بين حياة نجيب محفوظ وأعماله، لذا سيكون عملنا هذا المبحث في التقاط وشائج ذلك الاتصال عبرإيراد مجموعة من الدلالات هي:

١- دلالة المرأة

يُعد موضوع المرأة من أبرز الموضوعات التي اهتم بها محفوظ، إذ صوّرها في الاصداء بدلالات رمزية عدة،كما لا يُمكننا أن ننكر ما للمرأة من أهمية في حياته، وفي أعماله، وأول إمرأة تأثر فيها في حياته وبالاخص في طفولته أمه تلك السيدة التي لاتعرف القراءة والكتابة الا إنها قد امتلكت شخصية مثقفة ذات إحساس عالٍ بالوطنية والانتماء لعروبتها الإسلامية ولتراث بلدها عبر زياراتها اليومية للمشهد الحسيني في مصروزياراتها للأماكن الأثرية في مصر من متاحف واهرامات وغيرها، فظهرأثر هذه المرأة على أدبه خاصة في بدايته الذي ارتبط بالتراث المصري، إذ تجسّدت مرحلته الاولى التاريخية لينتقل بعد ذلك الى مرحلته الواقعية فالفلسفية فكتب(عبث الاقدار، ورادوبيس، كفاح طيبة...).

وعلاقته بالمرقد الحسيني كان واضحاً في الاصداء إذ ذكر المجاذيب في أكثرمن موضع، ومنطقة المجاذيب هي مكان مشهور في حي الحسين وهي مرتع للمجاذيب رجالاً ونساءاً بشكلٍ مخيف، وكل مجذوب يدعي إن فيه شيئاً لله [٢٥] فأخذ بتصوير بعض المشاهد التي كان يراها في ذهابه مع أمه لتلك الأماكن كقوله:[٢٦]

(رجعت الى الميدان بعد زيارة المشهد الحسيني رأيت زحاماً يحدق براقصة وزمّار، الزمّار يعزف والراقصة تتأود لاعبة بالعصا والناس يصفقون والوجوه تتألق بالسرور والنشوى...).

٢١- ينظر:صفحات من مذكرات نجيب محفوظ:٣٢٩.
٢٢- ينظر:م.ن:٩٣.
٢٣- اصداء السيرة الذاتية:٥٣.
٢٤- ينظر:صفحات من مذكرات نجيب محفوظ:٩٤.
٢٥- ينظر:صفحات من مذكرات نجيب محفوظ:٢٣ وما بعدها.
٢٦- اصداء السيرة الذاتية:٥٥.

والمرأة في الاصداء جاءت لتعطي دلالات مختلفة،فهي رمز الحب والحنان كما في قوله:[٢٧]

(حدث وأنا أسير بين الطفولة والصبا رايت فوق الكنبة الوسطى امرأة جالسة لم أشهد في حياتي شيئاً أجمل منها، ابتسمت إلي فذهبت اليها فحنت علي وقبلتني ووهبتني قطعة من الملبن، و كلما ذهبت إلى الحجرة رجعت مجبور الخاطر بقبلة وقطعة من الحلوى..).

وهذا ما نجد صداه في شخصية نور في رواية (اللص والكلاب) تلك البنت ذات القلب الذهبي الذي يلجأ اليها سعيد مهران عندما يقع ضحية صديقه الصحفي المثقف فيجد في نور الإنسانة الوحيدة التي تعطف عليه وتحبه وتحاول إنقاذه من أزمته.[٢٨]

أو قد تعبّر عن حبه الضائع الذي لم يحصل عليه كما في مقطوعة (السر) التي قال فيها:[٢٩]

(طالما سمعت الحكايات عن الملاك المتجسد في صورة المرأة...وفي ليلة الموسم المبارك سمعت همساً بأنه سيمر عند السبيل حين سطوع القمر وتحولت حول السبيل بنية العاشق وعزيمة البطل واذا بأمرأة تلوح لفترة قصيرة فاقتحمني وجهها السافر الملائكي وغمرني بالهيام والنشوة، ولكني لم أسع وراءها لعلمي باستحالة العبور من دنيا البشر إلى دنيا الملائكة..).

ونجد هذه الثيمة(الحب الضائع) قد تكررت في مواطن كثيرة من روايات نجيب محفوظ ومنها الحب الضائع في الثلاثية الذي تجسد في شخصية كمال عبد الجواد وخيبة امله في حبه الذي كان من طرفه فقط،وقبله أخوه فهمي الذي لاقى ذات المشكلة وهناك رأي يقول ان كمال عبد الجواد يحمل كثيراً من ملامح نجيب محفوظ[٣٠].

وقد تعطي المرأة دلالة الدنيا في الأصداء كقوله في مقطوعة(الواعظة):[٣١]

(اعترضتني في السوق امرأة آية في الجمال، وسألتني هل أعظك أيها الواعظ فقلت بثقة اهلاً بما تقولين فقالت لا تعرض عني فتندم مدى العمر على ضياع النعمة الكبيرة..).

من الواضح ان هذه المرأة هي الدنيا والمرأة بحد ذاتها جزء من ملذات الدنيا، فجعل تلك المرأة في غاية الجمال للدلالة على جمالها في نظره وهنا يمكننا ان نعرض مواصفات الدنيا وملذاتها في نظر محفوظ في هذا الكتاب، أجمل ملذاتها هو حبها:[٣٢]

(اذا احببت الدنيا بصدق احبتك الاخرة بجدارة..).

وحبها هنا يجب أن لا يكون حد الإسراف، لأن لا أمان لها:[٣٣]

(قال الشيخ عبد ربة التائه: آه من تلك المرأة الجميلة التي لا وفاء لها، لاهي تشبع ولا عشاقها يتعظون..).

٢٧- م.ن:١١٧.
٢٨- مجلة العربي عدد خاص بنجيب محفوظ، العدد٥٧٧.
٢٩- اصداء السيرة الذاتية:١٣٢.
٣٠- ينظر: ادباء معاصرون:١٢٢.
٣١- اصداء السيرة الذاتية:١٢٠.
٣٢- م.ن:١٢٧.
٣٣- م.ن:١٣٥.

فالمرأة الجميلة هنا هي الدنيا التي لا وفاء لها، وترجمته لحب الدنيا هو العمل فيها بجد ومثابرة، ففي مقطوعة الاختيار يصورها أيضا بمرأة جميلة فيتبعها ويترك طلب رزقه حتى يصل الى بيتها فيسأل البوّاب عنها، فيجيبه بانها لا ترحب بمن يجيئون اليها هاجرين عملهم[٣٤] فدعوة نجيب محفوظ للعمل الجاد لم تكن وليدة هذا الكتاب اذ نجد له صدى في أعماله،ففي رواية السراب(١٩٤٨) نجده يعرض قضية المرأة والعمل خارج البيت في الأربعينيات عبر بطلة هذه الرواية(رباب جبر)، فحرص محفوظ على إبراز أهمية عمل المرأة من وجهة نظرها اذ صوّر رباب فخورة بعملها وبأنها لا تعمل لأجل التسلية أو لكسب المال، بل العمل جزءاً من شخصيتها.

او ربما قصد بتلك المرأة في النص السابق من الاصداء، مصر فهي جميلة وساحرة كمصر وتحب من ابنائها أن يجدوا في أعمالهم ولا يتركوها سعياً للملذات، وهنا يعطينا صدى لحميدة بطلة رواية زقاق المدق الجميلة السمراء الفقيرة بنت البلد ذات الشعر الأسود تبحث عن العيشة الطيبة، حائرة بين حب عباس الحلو ابن الزقاق وبين الخروج من أسر الحارة والفقر[٣٥].

والبغاء صورة أُخرى من صور المرأة التي طرقها محفوظ في الأصداء ومن الملاحظ على هذه الدلالة انها اتت في هذا الكتاب بصورة المومس العجوز التي اضنتها السنين،واتعبتها ويلات الزمان، وهي شخصية مرجعية سلبية، إذ لم يصدر عنها سوى الفعل السلبي الضار بأفراد المجتمع [٣٦]والمعروف في هذا النوع من النساء الاشتهار بالجمال والشباب، كي يجذبن الرجال وتستنفذ ما في جيوبهم، ومنها ما قاله في مقطوعة سؤال وجواب[٣٧]:

(سأل العجوز السيدة

– معذرة

– صديقة العمر، لماذا تبذلين نفسك للهوى؟

فأجابت بوجوم

– من حقك علي ان اصارحك بالحقيقة،كنت أبيع الحب بأرباح وفيرة، فامسيت اشتريه بخسائر فادحة ولا حيلة لي مع هذه الدنيا الشريرة الفانية..).

فهذه المرأة قد افنت عمرها في عمل غير سوي حتى وصلت الى هذا العمر لتندم على ما فعلته، واذا تصفحنا بنات الهوى في روايات محفوظ تطلُعنا مجموعة كبيرة فمنهن من احترفت هذه المهنة واتقنتها، كالسلطانة وزنوبة ونور في بطلة رواية اللص والكلاب تلك المرأة المدنسة والموحلة في نظر المجتمع،بينما هي فاضلة في جوهرها إذ آوت البطل، وحمته من الخونة والشرطة[٣٨]، والنوع الثاني من بنات الهوى من اجبرها الزمن على أن تسلك هذاالطريق كما في شخصية نفيسة بطلة رواية بداية ونهاية، وشخصية حميدة بطلة

٣٤– ينظر: م.ن:٩١.

٣٥– ينظر:ادباء معاصرون:٦٩،بناء الشخصية الرئيسة في روايات نجيب محفوظ:٧١ وما بعدها.

٣٦– ينظر:معجم السرديات، مجموعة من المؤلفين:٥١–٥٢، بنية الشخصية في أعمال مؤنس الرزاز الروائية،شرحبيل ابراهيم احمد المحاسنة(اطروحة دكتوراة):٢٢٦.

٣٧– اصداء السيرة الذاتية:٣٠.

٣٨– ينظر:امرأة في ادب نجيب محفوظ:٩٣–٩٤.

رواية زقاق المدق، اذ يجرهما الفقر والاعراف الاجتماعية العارمة على الخروج عن طريق الصواب الى جادة الرذيلة والغواية، ومن الملاحظ على هذه الشخصيات انها تتمتع بصفة ألجمال باستثناء نفيسة وهي تتمتع بالشباب وإن فقدت الجمال، إلاأن محفوظ اختار بنات الهوى في الاصداء من العجائز، لأنه أراد أن يعطي لهذه الشخصيات في رواياته نهاية يندمنّ فيها، وهي الشيخوخة وذهاب الجمال والشباب،مع العلم أن أغلب شخصيات بنات الهوى في الروايات قد انتهت بنهايات مأساوية، الا ان المرحلة التي يمر فيها محفوظ في كتابته للاصداء ترجم فيها خبرته المتكونة من كل تلك الاعمال، وكأنه اراد أن يقول، أن كل تلك الشخصيات ستكون نهايتها كهذه في الاصداء ستكبر وتشيخ وتندم، ان لم تُقتل قبل ذلك.

٢- دلالة الوقت

يعد نجيب محفوظ من أكثر الكتاب المنظمين المحترمين للوقت، اذ كان يقسم وقته ما بين الوظيفة الحكوميةوالعمل الأدبي ما بين قراءة وكتابة إذ كان يستغل كل دقيقة من حياته ويحرص على عدم ضياعها الا بما هو نافع[٣٩]فضلاً عن ذلك فهو لم يهمل أوقات الراحة والترفيه إذ كان يجلس لمدة ثلاث ساعات في كل يوم جمعة من السادسة للتاسعة لا تزيد دقيقة ولا تنقص في مقهى ريش وسط المدينة، وكان يلتقي بشلة الحرافيش يوم الخميس من كل اسبوع[٤٠]،فهذه الحياة المنظمة التي اعتادها ظهر صداها في الأصداء وفي اعماله،ففي مقطوعة رجل الساعة يظهر لنا صدى حياته المنظمة بوضوح فيما ورد عنه من قول:[٤١]

(دائماً هو قريبٌ مني لا يبرح بصري أو خيالي بريق على نظراته الهادئة القوية،من وجه محايد فلا يشاركني حزناً او فرحاً،ومن حينٍ لأخر ينظر في ساعته موحياً إليَ بأن افعل مثله اضيف به احياناً ولكن إن غاب ساعة ابتلاني الضياع جميع ما لاقيت في حياتي من تعب أو راحة من صنعة، وهو الذي جعلني أنوف إلى حياة لايوجد بها ساعة تدق..).

فهو يحمل كل ما حصل عليه من نجاح في حياته من النظام الصارم الذي به الوقت وسار عليه في حياته،حتى انه قد يضيق ذرعاً بذلك النظام حتى تمنى أن يقضي به الوجود إلى حياة لا ساعة فيها تدق،فالزمن عنده مرهون بتحقيق الهدف ولا يُحصى بعدد عمر الإنسان،كقوله:[٤٢]

(ما أكثر ما يسير بلا هدف...واذا التعب نال منه توقف لكنه لا يكف عن مناجاة الأشياء الثابتة والمتحركة،في نهاية هذا العام يبلغ الثلاثين من عمره..).

فمن يسير بلا هدف لا يُحسب عمره بالسنين بل يبقى واقفاً في محطة البداية.

ونجد صدى الزمن حاضراً في كل رواياته،إذ كان يناقش قضايا اجتماعية في المرحلة التاريخية التي يعيشها المجتمع ليُعبرعن طموحاتها واحلامها،ومشاكلها، ففي ثلاثيته الشهيرة التي كانت ملخصاً لحياة مصر الحديثة،اثناء النصف الأول من القرن العشرين عبر دراسة تاريخ أسرة أحمد عبد الجواد لثلاثة أجيال[٤٣] أما في ملحمة الحرافيش (تمَّ توسيع وتعميق موضوع أولاد الجبلاوي، ومكنه استخدامه الدقيق للسعة من أن

٣٩- ينظر:صفحات من مذكرات نجيب محفوظ:٤١.
٤٠- ينظر: مجلة العربي،العدد/٥٧٧: ٢٢٦.
٤١- اصداء السيرة الذاتية:٣٧.
٤٢- م.ن:٣٣.
٤٣- ينظر:مجلة العربي، العدد ٨٩:٥٧٧

يُترجم المطلق الى تاريخ، وشخصيات، واحداث، وتسلسل زمني ومكاني، بينما يُحافظ في الوقت نفسه لأن هذا هو المبدأ الاول للأشياء)[٤٤].

وقد يصف دورة الزمن بنظرة فلسفية تشاؤمية شبيه بفلسفة أبي العلاء المعري، كقوله في مقطوعة(عبير من الورد):[٤٥]

(ساقتني قدماي إلى القبر المهجور الذي رحل جميع من كانوا يعنون بتذكره، وجدته أيلاً للسقوط وعليه طابع العدم، وصدر نداء خفي من الذاكرة،فأقبل نحوي جمعٌ من النساء والرجال كما عهدهم الزمان الاول وردد أحدهم ما قاله لي مراراً:

لا اغير ريقي قبل أن اسمع أغنية الصباح في الاذاعة...).

ظهر هنا صدى شيخوخة نجيب محفوظ ونظرته الفلسفية التي تمخضت عن خبرة حياته، لِما لاقاه من فراق الاحبة والاصدقاء الذين طاحت بهم يد المنون واحداً تلو الاخر.

نجيب محفوظ صاحب مشروع،ينظر الى الوقت بوصفه ثروة كبيرة ولا شيء يغني من التنظيم الدقيق...وقد اطلق عليه محمد عفيفي الرجل الساعة، أما يوسف ادريس فقال عنه على سبيل النكتة انه لو كتب وانتهى وقت الكتابة بتوقف قبل ان يتمّ الجملة، ويؤجل باقيها الى يوم غد عندما يحين وقت الكتابة[٤٦]،ولعلَّ هذا الانضباط ما جعل من نجيب محفوظ،نجيب محفوظ.

٣- دلالة الصحراء

ارتبط الشعر العربي منذ بداياته بالصحراء البيئة الأولى لذلك النتاج فملأت قلب الشاعر وتفكيره وعاطفته،وكان ذلك النتاج الثرعلى سليقة وبديهة، إذ تغنى البدوي بالصحراء رغم ما بها من شدة فأجاد في وصف ما بها من تضاريس ورمال وفيافي،فضلاً عمّا أضفته له من مساحة فكرية وفلسفية وتأملية[٤٧].

والمتأمل للاصداء يجدُ فيها صدىً لا بأس به للصحراء كما يُمكننا أن نجد صدى أوسع في أعمال نجيب محفوظ الأُخرى من روايات وقصص، وقد تعددت دلالات الصحراء في الأصداء والأعمال ويمكننا أن نرصد جانباً منها عبر هذه الدراسة الموجزة.

أحتضنت الصحراء في رواية الشحاذ مغامرات عمر الحمزاوي العاطفية في سيارته الفارهة التي تضم النساء اللائي صحبهنَّ من الملاهي بحثاً عن النشوة واللذة[٤٨] إذ اتصفت الصحراء بظلمة ساترة لكل الأعمال غير الصحيحة،وهذا ما نجد صداه في مقطوعة المعركة التي قال فيها[٤٩]:

(في عهد الصبا والصبر القليل نشبت خصومه بيني وبين.....اكتسح طوفان الغضب المودة فدعاني متحدياً إلى معركة في الخلاء حيث لا يوجد من يخلص بيننا...ذهبنا متحفزين وسرعان ما اشتبكنا في معركة ضارية حتى سقطنا من الاعياء وجراحنا تنزف بغزارة وكان لابد ان نرجع الى المدينة قبل هبوط الظلام ولم

٤٤- م.ن:٩٠.
٤٥- اصداء السيرة الذاتية:١١٣.
٤٦- ينظر: مجلة العربي، العدد ١١٤:٥٧٧.
٤٧- ينظر: الصحراء في الشعر الجاهلي، محمد صديق حسن عبد الوهاب،اطروحة دكتوراة:٨.
٤٨- ينظر:الفكر والفن في الشحاذ:١١٦.
٤٩- اصداء السيرة الذاتية:٦٨.

يتيسر لنا ذلك دون تعاون متبادل، لزم ان نتعاون لتدليك الكدمات ولزم ان نتعاون على السير، وفي اثناء الخطو المتعثر صفت القلوب ولعبت البسمات فوق الشفاه المتورمة ثم لاح الغفران في الافق...).

فسرُّ الصحراء كفيل باجتذاب الأعمال غير الصحيحة لذا ذهب اليها الصديقان، أما عن الثيمة الأُخرى في المقطوعة فقد شكّلت نقطة تحوّل بين الصديقين فبعد الشجار الدامي بينهما لاح الغفران وقاما بمساعدة بعضهما على السير، كما يمكننا رصد هذه الثيمة في رواية الشحاذ ففي ليلة مظلمة يقوم الحمزاوي بإيقاف سيارته ويغادرها ويدخل وسط الظلام الدامس في صحراء واسعة قد شهدت مغامراته السابقة فيشعر بأنه مفقودٌ تماماً في السواد، وفي تلك اللحظة المؤلمة وبصورة مفاجئة يشعر بفرحة ثملة ويجتاح السرور مخاوفه وأحزانه، وشملته سعادة غامرة أسره رقصت لها كل جوارحه، فاحتل فيها منطق النفس محل منطق الواقع بروح صوفية جديدة لم يكن له بها عهد من قبل[٥٠].

وقد ارتبطت الصحراء بعزلة المتصوفة لغرض التعمق في المشاهدات الروحانية[٥١]، فنظرة الكاتب إلى المكان تحمل طابعاً فلسفياً تُثبت مدى تعلُق الكاتب بذلك المكان فجاءت أفكاره بصورة واقعية من حيث المنظور الفني تبعاً لِما تحمله نفسه من مشاعر وأحاسيس، ممّا يكشف ذلك عن علاقة عميقة بين الانسان والمكان الذي هو موطن التجربة[٥٢]، وقد ظهر لهذه النظرة صدىً في مقطوعة الرقص في الهواء التي قال فيها:[٥٣]

(ذات صباح وأنا أسير في الصحراء رأيت سحابة تهبط كالطائرة او السفينة حتى صارت في متناول الرؤية الواضحة،رأيت على سطحها رجلاً وامرأة يرقصان كانا من مجاذيب الحسين قد أغواهما الغرام فهجرا دنيا الاسرار إلى دنيا العشق، وسمعت صوتهما قائلاً..

– متى يصعد ياعبد ربة....)

النزعة الصوفية واضحة في النص، فالعاشقان قد تحررا من قيد الزمان والمكان لينعما بنشوة في جوٍ من الخلوة بعيداً عن أعيُن الناس في سحابة عالية ترتحل بهما في الجو،والعلو هنا ليس علو وجودي إنما هو علو روحي وارتقاء نفسي وصل اليه العاشقان وكأن محادثهما لم يصل لتلك المرحلة العالية فكانت دعوتهما له للارتقاء معهما.

وقد يُعطي الخلاء دلالة روحية في نفس الأديب و أبطال رواياته، إذ شكّل الخلاء ثيمة مفصلية في شخصية عاشورالناجي، فحينما إنتقل الشيخ عفرة إلى جوار ربه مرَّ عاشور بوحدة كبيرة وخلاء روحي، فقد كان الفقيد فيما مضى مسؤولا عن كل شيء في حياته، من ذلك أقيم بناءالخلاء على قيم الحرية،والعدل، والسلام، فكان خلاءً رحيماً، الا ان الحال لم يبق كسابق عهده فقد أختُرِق الخلاء بالحضور الآثم لدرويش زيدان وما فعله من جُرم وهذا ما اكتشفه عاشور لاحقاً فواجهه لكنه لم يفارقه فكان بمنزلة شيطانه الخفي،

٥٠– ينظر:مجلة العربي،العدد٧٦:٥٧٧–٧٨.
٥١– ينظر: الفكر والفن في الشحاذ:١١٧.
٥٢– ينظر: تشكيل الخطاب الشعري (دراسات في الشعر الجاهلي)، د. موسى ربابعة:٢٠.
٥٣– اصداء السيرة الذاتية:١١٠.

ثم تزوج من فلة ذلك الشيطان فائق الجمال التي اخترقت الخلاء العاشوري الرحيم،وذلك الخلاء الرحيم متأرجح بين الخلاء الشيطاني لدرويش زيدان، وفلة [٥٤].

يُمكننا ان نجد الخلاء الروحي لنجيب محفوظ في مقطوعة (على الشاطىء) والتي قال فيها:[٥٥]

(وجدت نفسي فوق شريط يفصل بين البحر والصحراء، شعرت بوحشة قاربت الخوق وفي لحظة عثر بصري الحائر على إمرأة تقف غير بعيدة وغير قريبة، فمضيت نحوها ولكن المسافة بيني وبينها لم تقصر ولم تبشر بالبلوغ، ناديتها مُستخدماً العديد من الأسماء والعديد من الاوصاف فلم تتوقف ولم تلتفت، واقبل المساء واخذت الكائنات تتلاشى، ولكنني لم اكفّ عن التطلع او السير او النداء..).

كما ويمكننا أن نلتمس الخلاء الروحي في نفس محفوظ من الفراغ الذي تركه حبه الضائع،فهو لم يستطع الحصول عليها والتقرب منها فالمسافة لاتنتهي،ولم يتمكن من الابتعاد عنها لأنها قريبة من روحه مستقرة في قلبه.

وقد يدفعه الحنين إلى تمني الذهاب إلى الخلاء كما في قوله في مقطوعة(الحنين):[٥٦]

(كنت القاه في الخلاء وحيداً يُحاور الناي ويعزف لجلال الكون

قلت له يوماً

– ما اجدر أن يسمع الناس الحانك

فقال بامتعاض

– انهم منهمكون في الشجار والبكاء،فقلت مشجعاً

لكل امرىء ساعة يحن فيها إلى الخلاء...) يبدو أن الحنين للخلاء في شخصية نجيب محفوظ كان سمة بارزة، فكان يُنشد فيه التحرر من قيد الزمان والمكان كي يعيش في مجالٍ أوسع للخيالات، والأحلام، ويجد تواصلاً مع الأزمنة السحيقة والأمكنة الطبيعية التي خلت من الصنعة الإنسانية.[٥٧]

كما يمكننا أن نلمس نزعة صوفية في النص،فالروح الصوفية توّاقة لارتياد الخلاء مع الالحان المشجية ليتسنى لها التعمق في التأملات والخيالات، وهذا ما كان ينشده محفوظ من هذا النص، ولم يكتفِ بذلك بل عمّم نظرته هذه على كل نفسٍ إنسانية، لان فيها ميلٌ لتلك النزعة،وهذا مايمكننا لمسه في نفوسنا.

فالخلاء كان منبراً لإظهار بعض جوانب النزعة النفسية لمحفوظ وابطاله، لذا نجده يُظهر هواجسه ومخاوفه بوصفها جزءاً من مشاعره النفسية وكما ورد في مقطوعة (الاشباح) نحو قوله:[٥٨]

(عقيب الفراغ من صلاة الفجرأتجول في الشوارع الخالية،جميل المشي في الهواء والنقاء بصحبة نسائم الخريف،ولما بلغت مشارف الصحراء جلست فوق الشجرة المعروفة بأم الغلام،وسرح بصري في متاهة الصحراء المسربلة بالظلمة الرقيقة،وسرعان ما خُيل الي أن اشباحاً تتحرك نحو المدينة،قلت لعلهم من رجال

٥٤– ينظر:مجلة العربي،العدد ٨٥:٥٧٧–٨٦.
٥٥– اصداء السيرة الذاتية:٥٦.
٥٦– م.ن:٥٩.
٥٧– ينظر: الفكر والفن في الشحاذ:١١٧.
٥٨– اصداء السيرة الذاتية:٦٧.

الأمن،ولكن مرَّأمامي أولهم فتبين فيه هيكلاً عظمياً يتطاير شرر من محجريه، واجتاحني الرعب فوق الصخرة،وتسللت الاشباح واحداً في إثر الأخر،فتساءلت وأنا أرتجف عمّا يخبئه النهار لمدينتي النائمة..).

فالصحراء كانت مُدعاة لإثارة مخاوف محفوظ، وهي مكان غير مألوف بالنسبة إليه[٥٩] ولعلَّ القضية مرتبطة ب (رجال الأمن) الذين ذكرهم في مقطوعة أُخرى وكما في قوله:[٦٠]

(كنت أتأهب للنوم عندما طرق الباب طارق فتحت أشراعة فرأيت شبحاً يكاد يسد الفراغ أمام عيني وقال..

– مخبرٌ من القسم

اصبح من المألوف في حينها أن يذهب هذا المخبر إلى أي ساكن لأستدعائه، يذهب في أي وقت ودون اعتبار ولم أجد جدوى في المناقشة فرجعت إلى غرفة نومي لارتداء ملابسي سرت في إثره دون ان نتبادل كلمة واحدة..).

فرجال الأمن كانت إحدى مخاوف محفوظ إذ كان دائم المراقبة من قبلهم ولم يكفوا عن عدَّ انفاسه وكتابة التقارير عنه إلا أنه كان يغض البصر عنهم[٦١] لذاعبّر عنهم هنا بصورة رمزية بعيدة عن المباشرة والتقرير، فاستعماله للصحراء كان إستعمالاً إنسانياً محضاً بوصفها جزءاً من الطبيعة التي استعان بها فضلاً عن توظيف الاشجار والحيوانات وظلالها لتُشارك في صياغةالازمةالتي يعانيها أبطال رواياته بالايماءأو الايحاء(فالتماهي بين حركة اللغة وحركة العالم يخلق مساحة سردية كبيرة تمنح المتلقي قدرة على التأويل وكشف علاقات التشابك البنائي الذي يتجلى في الطبيعة)[٦٢]فصورها بمستوى إحساسه بها على نحوٍ يعكس رؤيته وموقفه منها.

٤- لمحة من أعماله في أصداء السيرة الذاتية

لما كان كتاب الاصداء خلاصة التجربة الحياتية لنجيب محفوظ ولما كانت أعماله جزءاً من حياته،فمن البديهي أن نجد صدى أعماله في كتاب أصداء السيرة الذاتية،إذ لا يوجد شيء أدل على شخصية الإنسان من أعماله وأفعاله [٦٣]،وممّا يُلحظ على هذه السمة أنه لم يكن مُصرحاً لتلك الأعمال،بل كان يلمّح لها ويشير اليها بلمحة سريعة بشكلٍ رمزي تاركاً الاستنتاج والربط بين المقطوعة والعمل على المتلقي مُحملاً تلك المقطوعات جانباً من الرمزية التي أرادها لفنه فهو يرى بأن(الأدب الواضح المباشرالذي يُعطي للقارىء كل شيء بطريقة بسيطة ومباشرة يُعطل ملكة الخيال لدى القارىء ولا يمنحه الفرصة للتفكير والتحليل، والادب بطبيعته رمزي حتى الواقعي منه يجب ان يتصف بمستوى من الرمز والغموض بشرط الا يصل لحد الايهام والتعتيم وارهاق ذهن القارىء)[٦٤].

٥٩- ينظر: جماليات المكان، مجموعة من الباحثين:٦٣.
٦٠- اصداء السيرة الذاتية:٧٥.
٦١- ينظر: مجلة العربي، في حضرة نجيب محفوظ، د.محمد المنسي قنديل،العدد٢٢٦:٥٧٧.
٦٢- اليات السرد في الشعر العربي المعاصر، د.عبد الناصر هلال:١٤٨.
٦٣- ينظر: البحث عن الذات(دراسة في الشخصية ووعي الذات)، إيفوركون:١٩٢-١٩٣.
٦٤- صفحات من مذكرات نجيب محفوظ:٥٨.

ومن النصوص التي اشار بها لأعماله قوله:[٦٥]

(ياربة البيت اصحي صلي ثم ابسطي يديك بالدعاء،جهزي الفطور وادعي الى المائدة رجلك واولادك،عاوني الصغارعلى تنظيف أنفسهم وكسّري لمن يركن الى الكسل،اكنسي بيتك ورتبيه وتسلي بترديد اغنيتة سوف يجمعك الحظ السعيد حول مائدة العشاء،ويبقى الاولاد للمذاكرة،ويذهب الرجل الى المقهى للسمر، اغتسلي ومشطي شعرك وغيري ملابسك وبخري غرفة نومك، قد شهد اليوم ما يستحق الشكروالحمد..).

هذه المقطوعة تقودنا إلى شخصية(أمينة) في الثلاثية، تلك الزوجة التقليدية الخاضعة المطيعة لزوجها طاعة عمياء، سجينة البيت لاترى من العالم إلا العمل في البيت، ولا تخرج من البيت بشكلٍ مُطلق، ومع ذلك فهي ترى نفسها سعيدة الحظ وتُنادي زوجها بلقب سيدي وتأكل ما تبقى من طعامه، وتجلس تحت قدميه وتُساعده على خلع ملابسه وحتى حذائه، وتجلس تنتظره حتى الفجر ليعود من سهراته الخليعة[٦٦].

ففي المقطوعة السابقة أعطى الكاتب ملخصاً تاماً ووافياً لأبعاد شخصية المرأة كصورة للمرأة الشرقية المطيعة، والأم الطيبة التي يطغي قلبها احياناً إلى ان تستدر عطف الاب المتسلط لأحد أولادها لتطلب له خدمة إستثنائية[٦٧].

وفي مقطوعة الشيخ قال:[٦٨]

(في وضح النهار والحارة تموج بأهلها من النساء والرجال والأطفال والدكاكين على الصفين، في وضح النهار سقط رجل ضعيف ضحيةً لعملاق جبار وشاهد الناس الجريمة، وتواروا في برج الخوف لم يشهد منهم أحد ومضى القاتل آمناً وشهد الدرويش الحادث، ولكنه لم يسأل للأعتقاد الراسخ في بلاهته..).

فهذا يُذكرنا بعمله الشهير الحرافيش وشخصية(عاشور الناجي) والفتوّة، و كيف كانت شخصيات الفتوّة تُسيطر على الحارات وشوارعها والبيوت ومن يسكن فيها.

المبحث الثالث: أصداء من فكره وفلسفته

اطردت الأفكار الفلسفية لمحفوظ في الكتاب موضع الدراسة في الثلث الاخير منه،وبالأخص بعد ظهور شخصية عبد ربة التائه تلك الشخصية المختلقة التي اختلقها نجيب محفوظ ليبث عبرها أراءه الفلسفية عبر إثارة مجموعة أسئلة ليجد اجابتها عنده، لذا يُمكننا أن نقول عنها،انها ذات الكاتب أو نفسه،فجعلها شخصية صوفية هائمة في الملكوت تعيش في كهف مع مجموعة من الاشخاص تغمرهم روح النشوى وهم ينتظرون الجميلة الساحرة التي ستطل عليهم في يومٍ من الأيام لتنتقي من بينهم زوجها،فيقضون وقتهم في الطرب والرقص حتى يصلوا الى أعلى مراتب الانتعاش والنشوى دون أن يشربوا الخمر، فينقلنا إلى عالمٍ صوفي رسمه بطريقته.

٦٥- اصداء السيرة الذاتية:٩٦-٩٧.
٦٦- ينظر:المرأة في ادب نجيب محفوظ:٤٢-٤٣.
٦٧- ينظر:المرأة في ادب نجيب محفوظ:٤٤.
٦٨- اصداء السيرة الذاتية:٤٥.

وهنا يمكننا أن نقول أن محفوظ يناقش مشكلة ذاتية جديدة على أدبه، ففي المرحلة الأولى من حياته الفنية وهي المرحلة التي انتهت بالثلاثية كان فيها محفوظ اشبه بالمؤرخ في نظراته الى الواقع، أما المرحلة اللاحقة فقد أشبعت بالشاعرية، إذ عبّرعن واقعه تعبيراً وجدانياً[٦٩] فابتعد عن تسمية عناوين رواياته باسماء الأماكن التي وقعت فيها،بل جاء باسماء تحمل شيئاً من الرمزية مثل أولاد حارتنا، اللص والكلاب،السمان، الخريف، الطريق، فخرج البطل من مجرد ردة فعل لواقعه ليصبح كائناً يؤثر في الواقع ويعارضه ويضيف عليه من نفسه[٧٠]، لذا يُمكننا ان نسميها بالمرحلة الفلسفية [٧١] إذ تحول فيها محفوظ إلى مناقشة قضايا النفس الانسانية ومشاكل أبطاله وما يعانون من مشاكل ذاتية كمشكلة صابر في رواية الطريق في رحلة البحث عن والده الضائع، وأزمة بطل اللص والكلاب الذي ادرك بأن فقره نتيجة لنظام اجتماعي غير عادل وازمة بطل رواية الشحاذ الذي سعى وراء الثروة وحققها، إلا انه لم يبلغ المثل العليا للصدق مع النفس من ذلك بقي هائماً وترك بيته وزوجته وعمله، ليسعى وراء تحقيق ذلك الصدق[٧٢] فهي مشكلة ذات وتصالح نفسي،ومن الصعوبة الحصول على مذهب إنساني يحمل الحل الحاسم لمشاكل الانسان الاجتماعية والنفسية، لذا لجأ محفوظ لذلك الكهف الذي يتواجد فيه عبد ربة التائه وأصحابه،أو هي نزعة صوفية وُجِدَ صداها في نفس محفوظ،وبخاصة حينما قال:[٧٣]

(وجدت في تأملات المتصوفة راحة عقلية ونفسية جذبتني في الصوفية فكرة السمو الروحي،ولم اقتنع بفكرة رفض الحياة..) وهذا ما سنُحاول التنويه إليه في قابل البحث.

لقد بث في هذا الجزء من الكتاب بعض الأراء التي آمن بها بما يخص بعض الجوانب النفسية والدينية والسياسية فضلاً عن تجسيمه لأشياء مجردة لغرض بيان وجهة نظره فيها.

كما ونظر الى الحب نظرة مقدسة تُزيل رواسب الأحزان إذ قال:[٧٤]

(خفقة واحدة من قلب عاشق جديرة بطرد مائة من رواسب الاحزان..).

وقال:[٧٥]

(ما أجمل قصص الحب،عفا الله عن الزمن الذي يحييها ويمتها..).

فالحب عنده له قدسية خاصة يتكفل بتنقية الروح من الكدر والأحزان، وفي موضعٍ آخر أعطاه صفة تعميمية تشمل كل الحياة في قوله:[٧٦]

(اشمل صراع في الوجود هو الصراع بين الحب والموت..).

٦٩- ينظر:ادباء معاصرون:١٤٠.
٧٠- ينظر:م.ن:١٤٧.
٧١- مجلة العربي،العدد ٥٧٧: ١٢٩.
٧٢- ينظر:ادباء معاصرون:١٧٦وما بعدها.
٧٣- صفحات من مذكرات نجيب محفوظ:٢٣٥.
٧٤- اصداء السيرة الذااتية:١١٦.
٧٥- م.ن:١٥٠.
٧٦- م.ن:١٤٩.

فهو لم يقل بأن الصراع قائم بين الحياة والموت، فقد جعل الحب مُعادلاً موضوعياً للحياة ككل أي أن الحياة برمتها تنطوي تحت معنى الحب، وبذلك لم يقصد من الحب تلك المشاعر التي تنشأ بين الرجل والمرأة فحسب بل جعل منه كل معنى جميل في الحياة يُبنى على مشاعر حب صافية.

وممّا يُلحظ على مسألة الحب عند نجيب محفوظ، انه لم يمر بتلك التجربة الإنسانية إلا مرة واحدة في حياته(كما اسلفنا) وان هذه التجربة وإن كانت في بداياتِ حياته إذ لم يبلغ سن الثالثة عشر عاماً، إلا انها كانت ذات وقع مؤثر في نفسه،وهذا ما وجدنا أثره في الأصداء ولم يذكر حباً آخر في حياته ولم يظهرأي اثر في الاصداء عنه.

أما نظرته للدين فقد ربطها بالحب ممّا جعله كفيلٌ بتكفير الذنوب،وكما ورد في قوله:[٧٧]

(نسمة حب تهب تكفّر عن سيئات رياح العمر كله...).

فنظافة القلب بالحب هو ما يجعل النفس اكثر إيماناً،ولاسيما أن الإيمان عنده مقروناً بالفعل الجميل كما في قوله:[٧٨]

(عثرت يوماً على حقيبة تحوي كنزاً من المال وفيها ما يدل على شخص صاحبها وعنوانه،وكان من المنحرفين فقررت الا اردها إليه واودعتها سراً بدروم رجل فقير من اصحابنا عرف بالتقوى،وانا لا اشك في أنه سينفقها في سبيل الله، ثم علمتُ أنه ردها إلى صاحبها نازلاً عن حقه الشرعي فيها.

ثم توفي صاحبنا التقي الفقير فهرعت إليه وغسّلته وكفّنته وحملته إلى الجامع وصليت عليه ولما انتهت الصلاة لمحتُ بين المصلين خلف نعشه الرجل الغني المنحرف وهو يبكي بحرارة،واهتز فؤادي وقلت:

سبحانك يا مالك الملك ربما جاءت الصحوة بإذنك من حيث لا يدري أحد..).

فالفعل الجميل عاقبته خيراً، وليس إدعاء الايمان دون العمل الحسن.

اما نظرته للدنيا فهي نظرة تحفُّ بالنشاط والحيوية فقال:[٧٩]

(جاءني قوم وقالوا إنهم قرروا التوقف حتى يعرفوا معنى الحياة،فقلت لهم تحركوا دون إبطاء فالمعنى كامن في الحركة..).

فهو يحث على الحركة والعمل في الدنيا دون الركود والسكون،كما ينزهها من كل الافعال السيئة التي تحصل فيها، وكما في قوله:[٨٠]

(قال الشيخ عبد ربة التائه لا تلعنوا الدنيا فهي تكاد الا يكون لها شأن بما يقع فيها..) فهو لا يحمّلها وزر الافعال السيئة بل إن افعال البشر هي من وراء ذلك، جاعلاً منها الوسيلة للحصول على ثواب الآخرة بقوله:[٨١]

(قال الشيخ عبد ربة التائه اذا احببت الدنيا بصدق احبتك الاخرة بجدارة..).

فحب الدنيا طريقٌ للحصول على الاخرة، فنظرته للدنيا نظرة ايجابية جميلة تتسم بالحيوية والنشاط.

٧٧- م..ن:١٤٩.
٧٨- م.ن:١٢٣.
٧٩- م.ن:١٥٠.
٨٠- م.ن:١٤٥.
٨١- م.ن:١٤٧.

وله في السياسة أراء بثها في الأصداء،منها ما كان عاماً خاطب به الشعب ومنها ما كان خاصاً خاطب به أشخاص،ومن العام قوله:[٨٢]

(قال عبد ربة التائه عاقبة الجبن أو خم من عاقبة السلامة..).

وقوله:[٦]

(سألت الشيخ عبد ربة التائه- متى يصلح حال البلد؟ فأجاب

- عندما يؤمن اهلها بأن عاقبة الجبن اوخم من عاقبة السلامة..).

فالقولان يصبان في معنى التشجيع و الوقوف بوجه الحكومات الظالمة من قبل الشعوب،وهذا لا يكون الا بعد أن تمرَّ الشعوب حالة التدهور والضعف نتيجة التخاذل والجبن.

ومن الخاص ما وصِف به مشهد سياسي مُستعيناً بأحدى الشخصيات نحو قوله:[٨٣]

(قال الشيخ عبد ربة التائه،حباً في الهداية قررت زيارة صاحبكم الذي ضجت الارض من ظُلمه وفساده،طلبت مقابلته فاستقبلني مستشاره وقدّم لي القهوة والتقت عينانا لحظة فعرفت فيه إبليس مُتنكراً ولما أحسَّ ما فيَّ عرفته ضحك قائلاً:خسرت هذه الجولة فالعب غيرها..).

إذ اعطى صورة مألوفة للسياسيين الفاسدين كما وأعطى صورة أُخرى لِأقوالهم ووعودهم الكاذبة في قوله:[٨٤]

(قال الشيخ عبد ربة التائه حذار...فإنني لم أجد تجارة هي أربح من بيع الاحلام..).

وبذلك ناقش حالتين او سبيلين لتحرُر الشعوب أهمها عدم التخاذل والجبن والانتباه للعناصر المفسدة التي تقود البلدان وتحدد مصير الشعوب، أما الثورة التي ارادها في السبيل الاول العام فهي بدورها ستزيل هؤلاء الذين اشارواليهم في السبيل الخاص.

كما عمد في هذا الجزء من الكتاب على تجسيم بعض الاشياء المجردة التي لا يُمكن مُشاهدتها بالعين وبيّن وجهة نظره فيها ليُعبر عمّا يكنه من مشاعر تجاهها من ذلك تجسيمه للايام الحلوة بقوله:[٨٥]

(قال الشيخ عبد ربة التائه:وجدتني على ربوة أنظرإلى شاشة عرض مبسوطة في الفضاء ورقص فرقة من الفاتنات وغنّت على إيقاع كوني فنثرنَّ من حركاتهنَّ لألىء النور البهيج سألت بصوتٍ جهير من انتنَّ؟

فأجبنَّ- نحن الايام القليلة الحلوة التي مرّت في غاية من البهاء والصفاء..).

إذ شبّه الايام الحلوة القليلة التي تمر بعمر الانسان بفتياتٍ جميلاتٍ يتراقصن على إيقاع كوني بهيج،ولربما تكون الصورة أكثر تأثيراً في النفس حينما تصدرمن شخصٍ ينظر من عالم غير عالمنا فيصف لنا ما يراه.

كما وجسّم الموت في قوله:[٨٦]

(قال الشيخ عبد ربة التائه: رأيت الموت في هيئة شيخ فان وهو يقول معاتباً: لو كففت عن عملي عاماً واحداً لأنتزعت منكم الإقرار بفضلي..).

٨٢- م.ن:١١٨.

٨٣- م.ن:١٥٨.

٨٤- اصداء السيرة الذاتية:١٣٠.

٨٥- م.ن:١٣١.

٨٦- م.ن: ١٣٩-١٤٠.

فقد صوّر الموت بصورة شيخ فان ولم يكن في ذلك مُثيراً للرعب بل جعله مُتفضلاً على الناس بقبضه الارواح، لذا جعله صديقاً في قوله:[٨٧]

(قال الشيخ عبد ربة التائه: الصديق الذي يندرأن نُرحب به هو الموت..).

إلا انه صديق غير مُرحبٌ به لذا صوّر الخلود او رجلاً خالداً بقوله:[٨٨]

(قال الشيخ عبد ربة التائه: وقفتُ أمام المقام الشريف اسأل الله الصحة وطول العمر،دنا مني متسول عجوز مهلهل الثوب وسألني هل تتمنى طول العمر؟ فقلتُ من لا يود ذلك،فقدّم لي حفاً أصفراً مغلقاً وقال- إليك طعم الخلود ولقد تناولته منذ آلالاف السنين وما زلت أنوء بحمل أعباء الحياة جيلاً بعد جيل،فعممت هازئاً

- يا لك من رجلٍ سعيد فقال
- هذا قول من لم يعان كر العصور وتعاقب الأحوال ونمو المعارف ورحيل الأحبة ودفن الأحفاد
- تُرى من تكون في رجال الدهر؟
- كنت سيد الوجود.ألم تر تمثالي العظيم؟ ومع كل شروق ابكي ايامي الضائعة وبلداني الذاهبة وأهلتي الغائبة..).

إذ جسد الخلود بهيئة رجلٍ متسول ينوء بحمل أثقال الحياة وهمومها،وهي شخصية مفترضة غير واقعية لجأ إليها الكاتب فمنحته حرية الحركة والتصوير [٨٩] وهذا يؤكد نظرة الاستحسان والقبول التي نظر بها للموت،لذا اشفق على الارض وهي تهمس بأذنه قائلة:[٩٠]

(ينفسون على لقمي اليومية، وما فعلت سوى أن أستردت ما سبق ان وهبت..).

إذ جسّم الارض جاعلاً إياها في محل حديثٍ معه وهذا دليلٌ على تمازج الجماد مع احساس الكاتب ورغبته حتى صار معبراً عن إحساسه ودواخله ومحوراً رؤيوياً لحركته في بناء النص، وهو مستلقٍ فوقها،مُقتنعاً بما قالته لأنها الدورة اليومية للحياة فوسّم هذه المقطوعة بهذا الاسم ف(خطاب الاشياء التي لا تُخاطب في العادة أمرٌوثيق الصلة بالموقف الشعوري الذي يعيشه الفنان)[٩١]وهذا ما حصل بالفعل حينما أقدم على هذا المشهد الحواري.

وقد تتسم تجسيماته بنوعٍ من الرمزية المحببة التي يهتدي إليها القارىء بسهولة كقوله:[٩٢]

(قال الشيخ عبد ربة التائه، قلت له بخشوع وعيناي لا تفارقان طلعته:

- لم ار احداً في مثل بهائك من قبل فقال باسماً
- الفضل لله رب العالمين
- أريد ان اعرف من تكون يا سيدي،فقال بهدوء وكأنه يتذكر

٨٧- م.ن:١٤٦.

٨٨- م.ن:١١١-١١٢.

٨٩- ينظر:اليات السرد في الشعر العربي المعاصر:١٠١-١٠٢.

٩٠- اصداء السيرة الذاتية: ١٤٩.

٩١- تشكيل الخطاب الشعري(دراسات في الشعر الجاهلي)، د.موسى ربابعة:١٢،ينظر:التشخيص في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري(دراسة نقدية)،ثائر سمير حسن الشمري(اطروحة دكتوراة):٦.

٩٢- م.ن:١١٣-١١٤

– انا الذي كان يوقظك من النوم قبل شروق الشمس
– انا الذي ناصرتك على الكسل فانطلقت مع العمل،انا الذي اغراك بحب المعرفة فتفهمت نعم نعم
– وجمال الوجود أنا الذي ارشدتك إلى المتابعة
– أنا مدينٌ لك إلى الابد، فقال بهدوء شديد
– جئت لأضع فوق عملي نقطة الكمال..).

فالأشارة هنا إلى العقل ودوره في حياة الانسان فصوّره بصورة رجل بهي مهيب،ينظر إليه الشيخ بخشوع وترقّب مع ارتياح وسروراتج من اعجابه وبجماله.

أو قد يكون التجسيم أكثر رمزية فيوهم القارىء كما في قوله:[٩٣]

(قال رأيت عبد ربة التائه بالامس وانا راجع من السهرة قُبيل الفجر إعترضني في ظلمة الحارة شخص لم اتبين معالمه وقال لي:

أنا قادم إليك من وراء النجوم فهزتني العبرة وقلت بفرح

– من أجلي أنا هبطت، فقال بنبرة لم تخلُ من إمتعاض، لم تسلم بعد من الخيلاء، واختفى صاعداً بسرعة البرق فسألته وماذا كنت تنوي أن تطلب؟

فأجاب مُتجاهلاً سؤالي

الحياة فيض من الذكريات تصب في بحر النسيان أما الموت فهو الحقيقة الراسخة..)

فالمجسم هنا غامض غير معروف،أهو القدر أم الموت أم أحد الملائكة، أما فلسفته النفسية التي يُناجي بها ذاته،فيُمكن ان نجد صداها في عدة مواضع منها قوله:[٩٤]

(إن مسك الشك فانظر في مرآة نفسك ملياً..).

فكل إنسان يجب ان يرجع إلى مكنونات نفسه ويتأمل فيها كي يعرف ما طرأ عليها من تغيير أو ما تسبب من ظهورحالة جديدة عنده فيكشف عن أغوار النفس وسلوكها وما يدور فيها من أفكار، ولعلَّ جميع ما يتمَّ التصريح عنه هو رهين الموقف ومدى تأثير الاحداث في النفس[٩٥] من ذلك وجدنا تأكيد الكاتب على ترويض النفس ومجابهة كل ما له من تأثيرضدي أو صله نحو قوله:[٩٦]

(قال الشيخ عبد ربة التائه: كما تحب تكون..).

او قد تُعبر فلسفته الروحية عن إيمان قوي بالله فقال:[٩٧]

(قال الشيخ عبد ربة التائه: الحمد لله الذي انقذنا وجوده من العبث في الدنيا ومن الفناء في الاخرة..).

وحسن الظن بالله نجده في قوله:[٩٨]

٩٣– م.ن:١٠٨.
٩٤– اصداء السيرة الذاتية:١٤٦.
٩٥– ينظر:بلاغة الخطاب وعلم النص، د.صلاح فضل:٢٨٦.
٩٦– م.ن:١٤٧.
٩٧– م.ن:١٣٤.
٩٨– م.ن:١٢٠.

(سألت الشيخ عبد ربة التائه.. كيف لتلك الحوادث أن تقع في عالم من صنع رحمن رحيم؟ فأجاب بهدوء

– لولا إنه رحمن رحيم ما وقعت..).

فحُسن الظن بالله وبرحمته الواسعة هو ما جعل نجيب محفوظ يفصح عن هذا الأيمان النقي الجميل.

الخاتمة

بعد هذه الجولة السريعة في كتاب أصداء السيرة الذاتية لنجيب محفوظ توصل البحث لمجموعة من النتائج اهمها:

١- عمد الأديب إلى انتقاء الحوادث المؤثرة في نفســـه وإن كانت غير مؤثرة في حياته، فقد تكون مواقف بسيطة يمر بها أي إنسان، إلا انها شكّلت موقفاً مؤثراًعنده لذا ذكرها ورسم ما تداخل في نفسه من إثرها.

٢- كان لأعمال الاديب من قصص وروايات صدىً واسع في الاصداء وان كان بلمحات خاطفة كون هذه الاعمال جزءاً من فكره وحياته.

٣- إختلق محفوظ شخصية وهمية وجعلها مُعادلاً موضوعياً لذاته،وهي شخصية عبد ربة التائه التي صار يسرد عبرها أفكاره ونظرته في عدة امور، وما كان اختلاقه لهذه الشخصية إلا لغرض اقناع المقابل بهذه الآراء والأفكارمن كونها شخصية عليمة عارفة بكل شيء،وهي شخصية أقرب إلى الشخصيات الصوفية التي شبعت من ملذات الدنيا وزهدت بها، واتخذت من الكهف ملاذاً لها ولأصحابها ليكون موطناً للتسامر والمطارحات الفكرية.

٤- بث محفوظ نظرته الفلسفية في الدين والسياسة بأسلوب رمزي مكثف ليُعبر عن نظرته الإيجابية السليمة في فهمه للحياة والدين،حتى مع الموت كان ايجابياً متفهماً يدين له بالفضل.

٥- نظرته للدين كانت تُعبر عن نظرة انفتاحية تحب الحياة، ومنها ينبثق حب الاخرة، وهي عكس نظرة الانغلاق والزهد بالحياة من أجل الحصول على الآخرة،بل كان يحب التمتع باللحن والغناء والنساء وهي طرق التمتع بالحياة، ومنها يصل الإنسان إلى محبة الاخرة بجدارة.

المصادر والمراجع

١- أدباء معاصرون،رجاء النقاش،دار الحرية للطباعة،مطبعة الحكومة،بغداد، ١٩٧٢م.

٢- اصداء السيرة الذاتية،نجيب محفوظ،مطبوعات مكتبة مصر،دار مصر للطباعة،١٩٩٥م.

٣- اليات السرد في الشعر العربي المعاصر،د. عبد الناصر هلال، مركز الحضارة العربية،القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

٤- البحث عن الذات(دراسة في الشخصية ووعي الذات)،إيفوركون، ترجمة د.غشان نصر،دار معد للنشر والتوزيع،دمشق،١٩٩٢م.

٥- بلاغة الخطاب وعلم النص،د.صلاح فضل،المجلس الوطني للثقافةوالفنون والادب،الكويت،سلسلة عالم المعرفة،ع(١٦٤)،يناير،١٩٧٨م.

٦- بناء الرواية(دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، د.سيزا قاسم،مهرجان القراءة للجميع،القاهرة،٢٠٠٤م
٧- بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ،بدري عثمان،دارالحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، لبنان،بيروت،١٩٨٦م.
٨- تشكيل الخطاب الشعري(دراسات في الشعر الجاهلي)، د.موسى ربابعة،دار جرير للنشر والتوزيع،عمان، الاردن، ط٢، ٢٠٠٦م.
٩- جماليات المكان،مجموعة باحثين، دار قرطبة للنشر،باندونغ، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٤م.
١٠- رسم الشخصية في روايات حنا مينة،فريال كامل سماحة،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،دار الفارس للنشر والتوزيع،عمان،ط١، ١٩٩٩م.
١١- الفكر والفن في الشحاذ لنجيب محفوظ، هند الشويخ بن صالح،دار محمد علي للنشر،سلسلة فوانيس،ط١، ٢٠١١م.
١٢- الصحراء في الشعر الجاهلي،محمد صديق حسن عبد الوهاب،بحث دكتوراة،جامعة ادرمان الاسلامية.
١٣- صفحات من مذكرات نجيب محفوظ، رجاء النقاش،مكتبة بغداد،دار الشروق.
١٤- المرأة في ادب نجيب محفوظ،فوزية العشماوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٥- معجم السرديات، مجموعة من المؤلفين،إشراف محمد القاضي،دار محمد علي للنشر،تونس،ط١، ٢٠١٠.

البحوث والمجلات

١- بنية الشخصية في أعمال مؤنس الرزاز(دراسة في ضوء المناهج الحديثة) شرحبيل ابراهيم المحاسنة،اطروحة دكتوراة، كلية التربية،الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٧م.
٢- التشخيص في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري(دراسة نقدية)، ثائر سمير حسن الشمري،اطروحة دكتوراة،كلية الاداب،جانعة بغداد،٢٠٠٤م.
٣- مجلة العربي،عدد خاص بنجيب محفوظ، ع(٥٧٧)،ذو القعدة،١٤٢٧ هجر.